مبادئ السلوك

في معرفة علاقة العبد المملوك مع ملك الملوك

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

اسم الكتاب: مبادئ السلوك في معرفة علاقة العبد المملوك مع ملك الملوك
اسم المؤلف: أبوبكر العدني ابن علي المشهور
الطبعة التجريبية : شوال ١٤٣٧

بريد المؤلف على موقعه الشخصي وحساب الفيسبوك
http: / /www.alhabibabobakr.com

ملاحظة: هذه الطبعة تحت التعديل ، يرجى من القراء والمدرسين إرسال الملاحظات إلى عنوان المؤلف أعلاه .

ٱلمطلع ٱلقرآني

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

[ٱلزُّمَر:١٨]

ٱلباعث

خِـلَالَ إِقَامَةِ الدَّوْرَاتِ السُّـلُوكِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ في بَعْضِ المَوَاطِـنِ وَالبِلَادِ قَدَّمَ لِي بَعْـضُ الحَرِيصِيـنَ مِنَ المُعَلِّمِينَ وَالمُشْـرِفِينَ رَغْبَتَهُمْ في وَضْـعِ كُتَيِّبٍ مُخْتَصَرٍ جَامِعٍ لِمُهِمَّاتِ السُّـلُوكِ مُنَاسِبٍ لِلْمَرْحَلَةِ وَالعَصْرِ، وَمُعَالَجَةِ مَا اسْتَجَدَّ في حَيَاةِ الأَجْيَالِ مِنْ عَلَاقَةٍ مُبَاشِرَةٍ بِأَفْلَامِ الكَرْتُونِ وَأَثَرِهَا، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ وَمُخْرَجَاتِهِ، وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاِجْتِماعِيِّ وَشَبَكَاتِهِ، وَالأَلْعَابِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ وَمَا شَابَهَهَا.

فَاسْـتَجَبْتُ لِلْمَطْلَبِ سَائِلاً المَوْلَى أَنْ يَنْفَعَ الجَمِيعَ بِمَا قَدْ كَتَبَ رِجَالُ السُّلُوكِ مِنْ قَبْلُ ، وَمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ لَنَا في هذِهِ الوُرَيْقَاتِ.

وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ..

الإهداء

إِلـى طُلَّابِ وَطَالِبَـاتِ العِلْمِ الرَّاغِبينَ فـي الدَّمْجِ الوَاعِي بَيْنَ العُلُومِ الشَّـرْعِيَّةِ وَآدَابِهَا ، وَبَيْنَ العُلُومِ الوَضْعِيَّةِ وَتَخَصُّصَاتِهَا.

وَإِلَـى المُرَبِّينَ وَالمُرَبِّيَاتِ الحَرِيصِينَ عَلَى غَرْسِ التَّرْبِيَةِ الإِسْـلَامِيَّةِ في نُفُوسِ الأَجْيَالِ.

وَإِلى الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ المُدْرِكِينَ مَعْنى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُـودٍ يُولَـدُ عَلَـى الفِطْرَةِ ، فَأَبَـوَاهُ يُهَوِّدَانِـهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَـانِهِ» رواه البخاري ومسلم

وَالقَائِـلِ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ:« مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً مـن نحل أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ» رواه البخاري في التاريخ والترمذي والحاكم .

المقدمة

الحَمْـدُ لِلّٰـهِ الهَـادِي وَلَا هَادِيَ سِـوَاهُ، وَالرَّاعِـي وَلَا رَاعِيَ إِلَّاهُ، خَلَـقَ الخَلْقَ لِحِكْمَـةٍ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُـلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ رَحْمَةً، لِيَقُومُـوا بِأَمْرِ الخِلَافَةِ عَلَى الوَجْهِ الَّـذِي يُرْضِيهِ، فَرِضَاهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَـى عَيْنُ الأَمَانِ فِي الحَيَاتَيْـنِ، وَقَدْ عَلِمَ فِي سَـابِقِ عِلْمِـهِ حَاجَةَ الإِنْسَـانِ لِلتَّوْجِيهِ وَالمَوَاعِظِ، فَأَقَامَ سُـنَنَ كَوْنِـهِ عَلَى ذٰلِكَ، وَمَنَحَ العِبَادَ العَقْلَ وَالمُدْرَكَاتِ وَالاخْتِيَارَ؛ لِتُدْرِكَ أَهَمِّيَّةَ وَقَدَاسَةَ مَا هُنَالِكَ.

فَالسَّـعِيدُ مَـنْ فَقُـهَ سِـرَّ النَّهْيِ وَالأَمْـرِ، وَعَكَــفَ عَلَى خِدْمَـةِ مَوْلَاهُ فِي السِّـرِّ وَالجَهْرِ، وَالشَّـقِيُّ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَـهُ هَوَاهَا، وَسَـعَى بِنَهَمٍ لِتَحْقِيقِ رَغَبَاتِهَا وَمُنَاهَا، وَالتَّوْفِيقُ مِنْهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ القَائِلُ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨]، وَبَيْـنَ الإِلْهَـامِ وَالخُذْلَانِ بَرْزَخٌ مِـنْ أَمْرِ اللّٰهِ لا يَعْلَمُـهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَتَبَيَّنُ بِفَهْمِ قَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما.

فَنَسْـأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَحُسْـنِ الِالْتِزَامِ بِمَرَاتِبِ السُّلُوكِ، فَهْوَ الهَادِي وَالمُعِينُ.

مَا كَتَبَهُ ٱلعُلَمَاءُ فِي كُتُبِ ٱلسُّلُوكِ

كَتَبَ العَدِيدُ مِنَ العُلَمَاءِ مُخْتَصَرَاتٍ عَدِيدَةً تَزْخَرُ بِالتَّوْجِيهِ التَّرْبَوِيِّ لِلنَّاشِئَةِ كـ «بِدَايَةِ الهِدَايَةِ» ، وَ«أَيُّهَا الوَلَدُ» لِلْإِمَامِ الغَزَالِيِّ، وَكِتَابُ «آدَابُ سُلُوكِ المُرِيدِ» لِلْإِمَامِ الحَدَّادِ ، وَلَا غِنَى عَنْهَا لِسَالِكٍ وَنَاسِكٍ وَطَالِبِ عِلْمٍ أَبَوِيٍّ نَبَوِيٍّ، وَيَجِبُ تَقْرِيرُهَا وَتَعْلِيمُهَا لِلطُّلَّابِ فِيمَا يُنَاسِبُهُمْ مِنْ مُسْتَوَيَاتِ التَّعَلُّمِ وَالطَّلَبِ مَعَ تَطْبِيقِ مَطْلَبِهَا العَمَلِيِّ الشَّرْعِيِّ فِي سُلُوكِ المُرِيدِ ، وَتَعْوِيدِهِ الفِعْلِيِّ عَلَى القِيَامِ بِهَا.

وَمَعَ مَا اسْتَجَدَّ مِنْ شُؤُونِ الحَيَاةِ المُعَاصِرَةِ بَرَزَتْ حَاجَةُ الطُّلَّابِ وَالطَّالِبَاتِ إِلَى اخْتِصَارِ المُصَنَّفَاتِ المَبْسُوطَةِ فِي هٰذَا الفَنِّ، وَالرَّبْطِ بَيْنَ حَيَاتِنَا المُتَنَاقِضَةِ وَضَوَابِطِ الدِّيَانَةِ وَآدَابِهَا ، بَعْدَ أَنِ اسْتَفْحَلَ أَثَرُ الغَزْوِ الفِكْرِيِّ النَّاخِرِ، وَسُلِبَتِ الأَجْيَالُ مَعَانِي الصِّلَةِ الرُّوحِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاسْتُبْدِلَتِ التَّرْبِيَةُ بِمَا لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ مِمَّا نَعِيشُهُ وَنَشْهَدُهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الإِعْلَامِ وَالأَفْلَامِ وَالأَزْلَامِ، حَتَّى خَبَطَتِ الأُمَّةُ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَاقْتَدَتْ بِأَعْدَائِهَا التَّارِيخِيِّينَ فِي وَسَائِلِ تَعْلِيمِهَا وَتَرْبِيَتِهَا وَثَقَافَتِهَا وَاقْتِصَادِهَا وَإِعْلَامِهَا، وَارْتَفَعَ صَوْتُ الشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ صِيَاغَةِ المَفَاهِيمِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، لِتَظَلَّ عَلَاقَةُ الأَجْيَالِ بِدِينِهَا عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ وَلَوْ مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ.

فِقْهُ ٱلسُّلوكِ

السُّـلُوكُ هُوَ: السَّـيْرُ إِلَى اللّٰهِ بِالعَمَلِ الصَّالِـحِ وَمُتَابَعَةُ هَـدْيِ النُّبُوَّةِ عَلَى طَرِيقِ مَنْهَجِ الأُبُوَّة المُسْنَدِ.

وَأَمَّا فِقْهُهُ: فَيَعْنِي حُسْنَ المُتَابَعَةِ لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ الخَاصَّةِ بِالتَّوْجِيهِ وَالتَّرْبِيَةِ وَمَقَاصِدِهَا العِلْمِيَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ.

وَتَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ فِقْهِ السُّلُوكِ فِي التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِمَعْرِفَةِ مَنْصُوصِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ - وَالخَيْـرُ كَلِمَـةٌ جَامِعَـةٌ لِمَعَالِي الأَخْلَاقِ - ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ: تَوْجِيهُ الأَجْيَالِ لِكُلِّ مَا نَدَبَ إِلَيْهِ الشَّارِعُ الحَكِيمُ صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَـلَّم مِنْ تَوْجِيهٍ قَولِـي أَو فِعْلي أَو تَقْرِيْرِي أَوْ مَوَاقِـف أَخْلَاقِيَّة ذَاتِ دَلَالَات شَرْعِيَّة.

كَمـا أَنَّ النَّهْيَ عَـن المُنْكَر: حَجْزُ الأَجْيَالِ المُؤْمنةِ عَنْ كُلِّ مَا نَهى عَنْهُ الشَّـارِعُ الحَكَيْـمُ مِـنَ المُخَالَفَـاتِ الحِسِّـيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّـة ، وَتَذْكِيْرُهُـمْ بِأَثَرِهَـا الاجْتِمَاعِي المُفْسِدُ وَكَوْنِها مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَان.

الأعداء الأربعة

نصت آيات القرآن ، وأحاديث السنة على أن للبشرية أربعة أعداء يجب معرفة خطرها وشرها وأثرها وتأثيرها ،

قال القائل:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وسنبين بإذن الله كيفية الخلاص منهم .

وقال الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي

واحفظ القلب أن يلم به الشيـ ـطان والنفس والهوى والدنية

فمن هؤلاء الأعداء ما يحيط بالإنسان ، ومنها ما اختلط بنوازعه وتركيب فهمه ووعيه، فالذي يحيط بالإنسان ويؤثر عليه بالاختراق والتزيين :

١ - *الشيطان*: وهو مخلوق من النار من صنف الجن المشار إليهم في قوله تعالى : (وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) وهو عدو الإنسانية ومفسدها مع ذريته المساعدة له على الإفساد قال تعالى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) ﴿٥٠﴾ الكهف

٢- *الدنيا* : وهي مجموع الشهوات والرغبات المادية التي يحتاجها الإنسان للقيام بأمر حياته العمرية ، كوسائل الأكل والشرب والنكاح والمتع الحسية والمعنوية ، وما يتحقق به الوصول عليها من الذهب والفضة والعملات والشيكات وغيرها قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [آل عمران:١٤]. والذي يختلط بنوازع الانسان وتركيب فهمه ووعيه.

٣- *النفس* : وهي جوهر طبعي لا يدرك بالحواس الظاهرة كالعين واليد، وإنما

ترصد بواعثها وآثارها بأثر الاستقامة أو عدمها، والالتزام بأمر الشرع أو مخالفته قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

٤- *الهوى*: وهو قوة معنوية كامنة في النفس البشرية مرتبطة بقوة الطبع والمزاج إذا لم يتروض على فعل الخير وكبت الشهوات قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية:٢٣].

وَسَائِلُ مُوَاجَهَةِ ٱلْأَعْدَاءِ ٱلْأَرْبَعَةِ

١. الإِيمَانُ بِالقَضَاء وَالقَدَرِ.

٢. الإِيمَانُ بِأَمْرِ السَّوَابِقِ وَالخَوَاتِيم.

٣. الالْتِزَامُ بِالأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ.

٤. اِجْتِنَابُ المَنَاهِي الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ.

٥. الاسْتِعَاذَةُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ .

٦. وَالتَّحَصُّنُ بِالأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ.

٧. وَالدُّعَاءِ.

٨. مُجَانَبَةُ أَقْرَانِ السُّوءِ.

٩. كَفُّ التَّعَلُّقِ بِأَسْبَابِ اللَّهْوِ أَوِ الحِرْصِ عَلَيْهَا.تَرْتِيبُ وَظَائِفِ الأَوْقَاتِ.

١٠. الارْتِبَاطُ بِمُرْشِدٍ أَوْ شَيْخٍ مُرَبٍّ.

حِفظُ الجَوَارِحِ[1]

تُطْلَقُ لَفْظَةُ الجَوَارِحِ عَلَى الأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ ، وَهِيَ:

١. السَّمْعُ ، وَأَدَاتُهُ الأُذُنُ.

٢. البَصَرُ ، وَأَدَاتُهُ العَيْنُ.

٣. الكَلَامُ ، وَأَدَاتُهُ الْلِسَانُ.

٤. البَطْشُ ، وَأَدَاتُهُ اليَدُ.

٥. الحَرَكَةُ ، وَأَدَاتُهَا الرِّجْلُ.

٦. البَطْنُ ، وَالأَمْعَاءُ.

٧. الفَرْجُ ، والأَعْضَاءُ التَّنَاسُلِيَّةُ.

---

(١) ويلحق بها الشَّمُّ ، وَأَدَاتُهُ الأَنْفُ ، وسميت بالجوارح لأنها تجرح الناس، وتجرح صاحبها وتقدح في عدالته، والجرح أثرٌ دام في الجلد، يقال: جَرَحَهُ جُرْحاً فهو جُرْحٌ وَمَجْرُوحٌ، قال تعالى:﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥]، وتُسمى الصائدةُ من الحيوان جارحةً ، وجمعُها جوارحُ ، قال تعالى:﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤] ، وسُمِّيَتِ الأعضاءُ الكاسبةُ جوارحَ تشبيهاً بها، والاجتراحُ اكتسابُ الإثم:﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١].

وبحفظها وتدريبها على الطاعة والعبادة ، والالتزام بأوامر الله، واجتناب نواهيه ، تترقى بصاحبها إلى مقام الصديقية الكبرى ، كما ورد في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها .. الخ» رواه البخاري وغيره ، وهذا هو مقام التفرد بين المسلم الخالص وبين غيره من البشرية الإنسانية ، الغارقة في لجج العقلانية والعادات السيئة ومجموع المخالفات والجنوحات.

ضَوَابِطُ أَدَاةِ ٱلسَّمۡعِ[1]

يَجِـبُ عَلَى المُرِيـدِ أَنْ يَضْبِطَ أَدَاةَ سَـمْعِهِ في الخَلْوَةِ وَالاِجْتِمَـاعِ ، فَلَا يَضَعُهَا فِيمَا لم تُخْلَقْ لَه

والأُذُنُ : أَمَانَـةُ المَرْءِ فِيمَا يَسْـمَعُ، وَوَسَـائِلُ السَّـمْعِ: (الإِنْصَـاتُ ، وَالتَّصَنُّتُ وهوعلى قسمين إما ممدوح أو مذموم

فالإِنْصَـاتُ المذمـوم : تَكَلُّفُ الصَّمْـتِ وَكَفُّ الحَرَكَـةِ رَغْبَةً في سَـمَاعِ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ.

والتَّصَنُّتُ المذمـوم : تَتَبُّعُ الآخَرِينَ حَيْـثُ تَكَلَّمُوا وَاجْتَمَعُـوا لِنَقْلِ كَلَامِهِمْ وَمَعْرِفَـةِ فَحْـوَاهُ ، وَكِلَا الأَمْرَيْنِ حَرَامٌ عَلَى المُسْـلِمِ وَقَادِحٌ فـي عَدَالَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ ، وَهُـوَ نَـوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّجَسُّـسِ الَّـذِي نهى اللّـهُ تَعَالَى عنه بقولـه تعالى :﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرات:١٢].

وَعَـنْ اِبْـنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اَللَّـهِ – صلى الله وآله وسـلم –(مَـنْ تَسَـمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ وَهُـمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُـبَّ فِي أُذُنَيْـهِ اَلْآنُكُ يَوْمَ اَلْقِيَامَة) ، يَعْنِي: اَلرَّصَاصَ المذابَ . أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِي .

وَمِـنْ مَعَاصِـي الأُذُنِ اسْـتِمَاعُهَا لِلْخَائِضِيـنَ فـي الفِسْـقِ وَالمُجُـونِ وَالغِنَاءِ، وَمَعْرُوضِ الإِعْلَامِ المُتَنَوِّعِ مَسْـمُوعاً وَمَرْئِيًّا ، مِنَ الأَفْلَامِ وَالأَزْلَامِ وَصُوَرِ الشُّبَهِ وَالحَرَامِ المَقْرُونَةِ بِالأَصْوَاتِ وَالمُوسِيقَى.

وَمِـنْ مَعَاصِي الأُذُنِ اسْـتِمَاعُ المَرْءِ إِلَى وَسَـائِلِ التَّوَاصُـلِ الخَاصَّةِ مَعَ خَفْضِ الصَّـوْتِ بِحَضْـرَةِ الأَهْـلِ وَالمُعَلِّمِينَ وَالعُقَلَاءِ ، خَشْـيَةَ أَنْ يَسْـمَعُوا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُـهُ أَوْ يُحَادِثُـهُ بِمَـا لَا يَنْبَغِي شَـرْعاً وَلَا عُرْفاً وقد قال النبـي صلى الله عليه وآله وسـلم (وَالإِثْمُ مَا حَـاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِـعَ عَلَيْهِ النَّاس) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] .

---

(١) وهي الأذن.

كَمَا شَدَّدَ النَّكِيرَ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ الأَذَانَ وَلَمْ يَرُدْ عَلَى المُؤَذِّنِ ، وَلم يجب داعي اللـه بالحُضُورِ إِلَى بَيْتِ اللّٰهِ دُونَ عُذْرٍ شَـرْعِيٍّ يَمْنَعُـهُ مِنَ الحُضُورِ ، فَقَدْ جَاءَ في الأَثَر: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَمْ يُجِبْ صُبَّ في أُذُنِهِ الآنِكُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَالآنِكُ: هُوَ الرَّصَاصُ المُذَابُ في نَارِ جهَنَّمَ ، نَسْأَلُ اللّٰهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وَوَظَائِفُ أَدَاةِ السَّمْعِ الشَّرْعِيَّةِ: اتِّخَاذُهَا سَبَباً في سَمَاعِ كُلِّ مَا يَنْفَعُ صَاحِبَهَا مِـنَ القَـوْلِ نَثْـراً، أَوْ شِـعْراً، أَوْ وَعْظـاً وَتَذْكِيـراً، أَوْ حَدِيثـاً مَـعَ النَّـاسِ بِمَرَاتِبِهِمْ الاجْتِمَاعِيَّـةِ، وَهِـيَ أَيْضاً أَدَاةُ وَعْـيٍ وَإِدْرَاكٍ ، قَالَ اللّٰـهُ تَعالى فِيهَا: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢].

الاسْـتِمَاعُ إِلَى القُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَقصصِ السِّـيرَةِ وَالصَّالِحِينَ ، وَسَمَاعُ كل مَا لَا يُفْسِدُ القَلْبَ وَالجَوَارِحَ فَهُوَ سَمَاعٌ مَحْمُودٌ ، وَيُثَابُ عَلَيْهِ السَّامِعُ وَيُؤْجَرُ.

وَقَـدْ أَمَرَنَـا سُـبْحَانَهُ بالاسْـتِمَاعِ وَالإِنْصَاتِ لِتِـلَاوَةِ القُرْآنِ، وَأَشَـارَ إِلَـى ثَمَرَةِ الاسْـتِمَاعِ وَالإِنْصَـاتِ ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤] . نسأل الله أن يرحمنا برحمته.

وَأَدَاةُ البَصَرِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللّٰهِ عَلَى العِبَادِ[1]، وَجَارِحَتُهَا (العَيْنُ)، وَوَظِيفَةُ العَيْنِ النَّظَرُ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عَلَى المَرْءِ يَضَعُهَا حَيْثُ يَجِبُ وَضْعُهَا، وَلَا يَنْظُرُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَّا إِلَى مَا يَحِلُّ لَهُ.

وَوَسَائِلُ النَّظَرِ: التَّحْدِيقُ، وَالغَمْزُ، وَالتَّشَوُّفُ بِالعَيْنِ إِلَى واجب أو مندوب أو مباح أو مُحَرَّم أَوْ مَكْرُوهٍ، وَهِيَ إِحْدَى وَسَائِلِ التَّجَسُّسِ عَلَى الغَيْرِ، وَفِيهَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩]، وَالإِسْلَامُ يَأْمُرُنَا بِغَضِّ البَصَرِ، وَعَدَمِ مَدِّهِ إِلَى غَيْرِ الحَاجَةِ المَشْرُوعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور:٣٠] ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

وَالغَضُّ مِنَ البَصَرِ أَدَبٌ مِنْ آدَابِ الإِسْلَامِ الحَنِيفِ، وَيَدْخُلُ فِي مَعْنَاهُ كَفُّ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ المَرْءُ، وَمَا لَا يَخُصُّهُ وَلَا يَعْنِيهِ، سَوَاءً كَانَ مِنْ أَمْرِ الشَّهَوَاتِ وَالغَرَائِزِ، أَوْ مَا يُعْرَضُ فِي الأَسْوَاقِ وَالمَعَارِضِ مِنْ زِينَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَوْ مَا يَعْرِضُهُ الإِعْلَامُ وَالدِّعَايَاتُ وَوَسَائِلُ التَّوَاصُلِ مِنْ صُوَرٍ وَقِصَصٍ مَرْئِيَّةٍ، وَأَفْلَامٍ وَمُسَلْسَلَاتٍ عَاطِفِيَّةٍ وَكَرْتُونِيَّةٍ.

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأحزاب:١٠]، وقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم:١٧].

ضَوابِطُ أَدَاةِ ٱلشَّمِّ[1]

وَأَدَاةُ الشَّـمِّ (الأَنْـفُ) ، وَهِيَ الجَارِحَةُ الَّتِي خَصَّهَا اللّـهُ تَعَالَى بِوَظِيفَةِ الرَّوَائِحِ الزَّكِيَّـةِ وَالرَّوَائِـحِ الكَرِيهَـةِ ، لِيَتَعَرَّفَ بِهَا المَخْلُـوقُ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ وَمَـا يَضُرُّهُ مِنْ مَشْـمُومَاتٍ كالنَّكَهَاتِ وَالأَطْعِمَةِ وَالأَشْجَارِ وَالأَزْهَارِ وَحَرَكَةِ الهَوَاءِ وَالنَّسْمَاتِ اللَطِيفَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ.

وَهِـيَ أَيْضاً إِحْـدَى الأَمَانَاتِ الَّتـي ائْتَمَنَ اللّـهُ عَلَيْهَا الإِنْسَـانَ ، وَخَاصَّةً العَبْدَ المُسْـلِمَ وَالمُسْـلِمَةَ ، فَلَا يَصِحُّ لَهُمَا اسْـتِخْدَامُ أَدَاةِ الشَّـمِّ في مُحَرَّمٍ، أَوْ مَكْرُوهٍ، أَوْ مُشْتَبِهٍ.

وَيَدْخُلُ في كَرَاهِيَةِ الشَّمِّ لِمَا هُوَ حَرَامٌ مَا يَسْتَخْدِمُهُ البَعْضُ مِنْ شَمِّ المُخَدِّرَاتِ، وَاسْتِنْشَاقِ الكُحُولِ بِغَرَضِ السُّكْرِ وَالتَّخْدِيرِ وَإِخْلَالِ العَقْلِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ.

وَمِنْ أَدَبِ الإِسْـلَامِ في الشَّـمِّ كِتْمَانُ الشُّـعُورِ بِالرَّائِحَةِ الكَرِيهَةِ إِنْ صَدَرَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ قَائِمٍ أَوْ مُتَخَلٍّ في بَيْتِ الخَلَاءِ، كَمَا يَنْبَغِي كَتْمُ الشُّعُورِ أَيْضاً إِنْ صَدَرَتِ الرَّائِحَـةُ مِنِ امْـرَأَةٍ مُتَعَطِّرَةٍ مَرَّتْ بِجَانِـبِ المَرْءِ، أَوْ كَانَتْ في ثَـوْبِ رَجُلٍ أَصَابَهُ مِـنْ طِيبِ أَهْلِـهِ، وَيَجِبُ عَلَـى المَرْأَةِ تَجَنُّبُ اسْـتِخْدَامِ العُطُورِ خِـلَالَ خُرُوجِهَا لِلْأَسْوَاقِ أَوْ مَوَاقِعِ اخْتِلَاطِهَا بِالرِّجَالِ حَتَّى لا يُكْتَبَ في صَحِيفَةِ أَعْمَالِهَا إِثْمُ

فعن أبي موسـى الأشـعري قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية) رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

– وعـن زينـب الثقفية أن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم قـال: (إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربنّ طيبا). أخرجه النسائي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم: (أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة) رواه مسلم.

---

(١) وأصله في اللغة من شم يشم ، والأشمُّ العالي، وقيل : ارتفاع قصبة الأنف.

و عن أبي هريرة: أن امرأة مرت به تعصف ريحها فقال: يا أمة الجبار المسجد تريدين؟ قالت: نعم، قال: وله تطيبت ؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما من امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فيقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وَمِنْ آدَابِ الإِسْلَامِ المُرُورُ بِعَجَلٍ فِي أَمَاكِنِ الرَّوَائِحِ الكَرِيهَةِ كَالمَزَابِلِ وَأَمَاكِنِ الجِيَفِ ، وَإِلْقَاءُ الثَّوْبِ أَوِ المِنْدِيلِ عَلَى الأَنْفِ حَتَّى لَا يَتَسَرَّبَ شَيْءٌ مِنْ جَرَاثِيمِ الرَّوَائِحِ إِلَى الأَنْفِ.

وَلَا بَأْسَ بِاسْتِخْدَامِ الكَمَّامَاتِ الوَاقِيَةِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ كَحُصُولِ تَحَسُّسٍ لَدَى المَرْءِ أَوِ انْتِشَارِ غَازٍ أَوْ مَادَّةٍ مَسْمُومَةٍ ، بَلْ وَيَرْتَفِعُ الأَمْرُ عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى الوُجُوبِ الَّذِي يُلْزِمُ الاسْتِخْدَامَ إن كان تركه لذلك يؤدي إلى هلاكه ، وَخَاصَّةً عِنْدَ رُكُوبِ الطَّائِرَاتِ وَحُصُولِ انْخِفَاضٍ فِي نِسْبَةِ الأُكْسِجِينِ مِنْ جَرَّاءِ الارْتِفَاعِ المُفْرِطِ أو حصول خلل ، أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ.

وَأَدَاةُ الكَلَامِ هُوَ (الْلِسَـانُ) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان:٥٨] وقال تعالى : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥] ، وَالْلِسَانُ جَارِحَةٌ مِنْ جَوَارِحِ الإِنْسَانِ ، خَلَقَهَـا اللَّهُ أَدَاةً لِلتَّفَاهُمِ وَالتَّعْبِيرِ ، وَلَهَا ضَوَابِطُهَا الشَّـرْعِيَّةُ وَآدَابُهَا المَرْعِيَّةُ في الإِسْـلَامِ، وَبِهَا يَنَـالُ العَبْدُ الدَّرَجَاتِ العُلَى في الجَنَّـةِ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا في جَهَنَّمَ**» رواه البخاري.

بـل إن الأعضـاء تنادي اللسـان كل صبـاح أن يتقي الله فيها فـعن أبي سـعيد الخـدري رضـي الله عنه عـن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: "**إذا أصبح ابن آدم، فـإن الأعضاء كلها تكفر اللسـان، تقـول: اتقِ الله فينا، فإنمـا نحن بك: فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**". رواه الترمذي.

وقال القائل

وزن الـكلام إذا نطقـت ولا تكـن ثرثـارة فـي كل واد تخطـب

وقال آخر

احفـظ لسـانك أيهـا الانسـان لا يلدغنـك انـه ثعبـان

كـم فـي المقابـر مـن قتيـل لسـانه كانـت تهـاب لقـاءه الشـجعان

وَأَثَـرُ الْلِسَـانِ فـي الفِتْنَةِ كَأَثَرِ السَّـيْفِ ، كَمَـا أَنَّ أَثَرَهُ فـي الإِصْـلَاحِ وَالتَّوْفِيقِ أَثَرُ البَلْسَـمِ وَالدَّوَاءِ ، قَالَ تَعَالَى مُخْبِراً عَنْ مُوسَـى عَلَيْهِ السَّـلَامُ: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه:٢٧-٢٨].

وَامْتَـدَحَ القُرْآنُ القَوْلَ بِالْلِسَـانِ مَتَـى كَانَ عَلَى صِفَةِ الدَّعْوَةِ إِلَـى اللَّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَـةِ الحَسَـنَةِ ، فَقَـالَ تَعَالَى: (ادْعُ إِلِى سَـبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل ١٢٥] وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ

صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

كَمَا ذَمَّ القَوْلَ السَّيِّئَ وَالخَبَرَ الكَاذِبَ المَنْقُولَ بِالْلِسَانِ لِقَصْدِ الفِتْنَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالغِيبَةِ وَالبَهْتِ لِلنَّاسِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [ٱلحُجُرات:٦]،

وَيَجِبُ حِفْظُ الْلِسَانِ مِنْ تِسْعَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ:

١. الكَذِبُ.
٢. خُلْفُ الوَعْدِ.
٣. الغِيبَةُ.
٤. النَّمِيمَةُ
٥. المِرَاءُ وَالجِدَالُ.
٦. الْلَعْنُ.
٧. المِزَاحُ وَالسُّخْرِيَةُ.
٨. تَزْكِيَةُ النَّفْسِ.
٩. الدُّعَاءُ عَلَى الخَلْقِ.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الإِمَامُ الغَزَالِيُّ فِي بِدَايَةِ الهِدَايَةِ بِتَفْصِيلٍ نَافِعٍ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّمِيمَةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا هُنَا لِإِتْمَامِ الفَائِدَةِ.

وَأَدَوَاتُ الحَرَكَةِ فِي الإِنْسَانِ يَدَاهُ وَرِجْلاَهُ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا وَظِيفَةٌ خَاصَّةٌ، فَوَظِيفَةُ اليَدِ البَطْشُ، وَالتَّنَاوُلُ، وَالأَخْذُ، وَالعَطَاءُ، وَالكِتَابَةُ، وَالإِشَارَةُ، وَحَمْلُ الشَّيْءِ، وَالقَذْفُ بِنحو حَجَر أَوَ ثوب وَغَيْرِه، كَمَا أَنَّ اليَدَ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّوَقِّي مِنَ الشَّرِّ وَوَسِيلَةٌ لِاسْتِجْلَابِ الاسْتِجَابَةِ بِرَفْعِهَا فِي الدُّعَاءِ – إلى السماء لأن السماء قبلة الدعاء – وَالاسْتِغَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالاسْتِشْفَاعِ بِالحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلِلْيَدِ وَظَائِفُ مُتَعَدِّدَةٌ لَا حَصْرَ لَهَا إِلَّا أَنَّهَا مُقَيَّدَةٌ فِي أَدَبِ الإِسْلَامِ بِجُمْلَةٍ مِنَ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَاليَدُ بِمَعْنَى السَّبَبِ المُؤَدِّي إِلَى فِعْلِ مَا يُحْمَدُ أَوْ مَا يُذَمُّ مِنَ السُّلُوكِ وَالمَوَاقِفِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1] [المائدة:١١٠]، وَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وَيُقَالُ نَفَضْتُ يَدِي عَنْهُ أَيْ: تَخَلَّيْتُ عَنْهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] أَيْ: عَنْ ذُلٍّ وَصَغَارٍ.

وَيُقَالُ: فُلَانٌ يَدُ فُلَانٍ أَيْ: وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وَتَأْتِي بِمَعْنَى النَّدَم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف:١٤٩]، وَتُقَالُ كِنَايَةً عَنِ السَّخَاءِ كَمَا فِي الحَدِيثِ: «عن عائشة رضي الله عنها : " أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه و سلم قلن للنبي صلى الله عليه و سلم أينا أسرع بك لحوقاً ؟ قال (**أطولكنَّ يداً**) . فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يداً فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة» رواه مسلم، وَيُقَالُ كِنَايَةً عَنِ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلَافِ (تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَأٍ)

وأوصل الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح

---

(١) أي: قَوَّيْتُكَ وقَوَّيْتُ يَدَكَ.

البخاري معاني اليد إلى اربعة عشر معنى ما بين حقيقي ومجازي .

وَضَابِطُ اليَدِ الأَدَبِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا عَدَمُ البَطْشِ بِهَا ، أَوِ الأَذَى لِلْغَيْرِ ، أَوْ أَخْذِ مَالِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ تَهْدِيدِه بِخِنْجَرٍ أَوْ سَيْفٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ، وَالوَسَائِلُ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِيهَا الأَيْدِي كَوَسِيلَةٍ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى غَرَضٍ مُعَيَّنٍ.

وَلِأَجْلِ ذٰلِكَ شَرَعَ الإِسْلَامُ قَطْعَ يَدِ السَّارِقِ عِنْدَ ثُبُوتِ جَرِيمَةِ السَّرِقَةِ بِشُرُوطِهَا المُعْتَبَرَةِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ** ﴾ [المائدة:٣٨]، كَمَا جَعَلَ عُقُوبَةَ النَّهْبِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ التَّنْكِيلَ بِقَطْعِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلِ مِنْ خِلَافٍ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة:٣٣].

وَأَمَّا الرِّجْلُ فَاسْمٌ (لِلْقَدَمِ) في المَخْلُوقِ، وَجَمْعُهَا أَقْدَامٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١]، وَهِيَ أَدَاةُ الحَرَكَةِ وَالمَشْيِ وَالسَّعْيِ وَالهَرْوَلَةِ وَالتَّقَدُّمِ وَالتَّأَخُّرِ في جِسْمِ الإِنْسَانِ.

وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْعُ لِلْقَدَمِ وَالحَرَكَةِ ضَوَابِطَ شَرْعِيَّةً حَتَّى لا يَضَعَهَا صَاحِبُهَا فِيمَا لَمْ تُخْلَقْ لَهُ، وَمِنْ هٰذِهِ الضَّوَابِطِ:

١-السَّيْرُ بِهَا إِلَى مَوَاطِنِ الخَيْرِ وَالعِبَادَةِ وَالعِلْمِ، وَخِدْمَةِ الأَهْلِ وَالأُسْرَةِ، وَالجِهَادِ في سَبِيلِ اللّٰهِ، وَالتَّمَشِّي عَلَى سَبِيلِ التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ في غَيْرِ تَكَبُّرٍ وَلَا خُيَلَاءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧].

٢- أَنْ لَا يَذْهَبَ بِهَا إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، أَوْ ضَرَرٍ لِنَفْسٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَهِيَ جَارِحَةٌ تَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤] وقال تعالى (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يس ٦٥] .

٣- أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا في المَشْيِ إِلَى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِهِمْ، وَالتَّرَدُّدِ عَلَى المَسَاجِدِ؛ لِمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظلم إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**» "رواه ابو داود والترمذي

وقال صلى الله عليه وآله وسلم «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» متفق عليه .

٤- أَلَّا يُسَخِّرَهَا في الضَّرَرِ وَالعَتَبِ عَلَى الآخَرِينَ، كَتَقْلِيدِ الأَعْرَجِ وَالمَشْلُولِ وَالعَاجِزِ ولو كان عَلَى سَبِيلِ المِزاحِ أَوِ السُّخْرِيَةِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى أَدَاءِ بَعْضِ الحَرَكَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ وَالأَلْعَابِ المُفِيدَةِ مَعَ وُجُوبِ السَّتْرِ لِمَا يَجِبُ

سَتْرُهُ مِنْ فَخِذِهِ وَرُكْبَتِهِ.

وَيَتَأَكَّدُ السَّـتْرُ لِلْمَرْأَةِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ ، وَلَا يَصِحُّ لَهَا أَنْ تَسْـتَخْدِمَ القَدَمَ فِيمَا لَا يَحِلُّ لَهَـا مِنَ الحَـرَكَاتِ المُثِيرَةِ ، كَالرَّقْـصِ المثير وَمَا أَشْـبَهَهُ مِنَ الأَلْعَـابِ المُتَنَوِّعَةِ وَخَاصَّةً بِحَضْرَةِ الرِّجَالِ الأَجَانِبِ، بَلْ لَا يَصِحُّ لَهَا أَنْ تَضْرِبَ بِرِجْلِهَا فِي سَيْرِهَا حَتَّى لا يَظْهَرَ شَـيْءٌ مِنْ زينتها الظاهرة بالحُلِيِّ وَالأَلْبسَـةِ، أَوِ البَاطِنَةِ مِنْ مَفَاصِلِ الجِسْـمِ وَمَحَاسِـنِهِ ، قَـالَ تَعَالَـى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

ضَوَابِطُ شَهَوَاتِ ٱلبَطْنِ

قَـالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ في «بِدَايَةِ الهِدَايَةِ»: وَأَمَّا البَطْنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ تَنَاوُلِ الحَرَام وَالشُّـبْهَةِ ، وَاحْـرِصْ عَلَـى طَلَـبِ الحَلَالِ، فَـإِذَا وَجَدْتَـهُ فَاحْرِصْ عَلَـى مَا دُونَ الشِّبَعِ، فَإِنَّ الشِّبَعَ يُقَسِّي القَلْبَ وَيُفْسِدُ الذِّهْنَ وَيُبْطِلُ الحِفْظَ وَيُثَقِّلُ الأَعْضَاءَ عَنِ العِبَادَةِ وَالعِلْمِ، وَيُقَوِّي الشَّهَوَاتِ[١] .

وَيُضَافُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ الحَذَرُ مِنِ امْتِلَاءِ البَطْنِ لِمَا فِيهَا مِنْ أَسْبَابِ العِلَلِ وَالأَمْرَاضِ، وَفِي الحكمة المشـهورة عن طبيب العرب الحارث بن كلدة : «المَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ» وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**مَا ملأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطنِه، بِحسْبِ ابن آدمَ لقيمات يُقِمْنَ صُلْبُهُ، فإِنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشـرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِـهِ**) أخرجه الثلاثة والحاكم وصححه. قال العلامة ابـن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: وهذا الحديث أصل جامـع لأصـول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسـويه لما قرأ هـذا الحديث في كتـاب أبـي خيثمة قال: لو اسـتعمل الناس هذه الكلمات لسـلموا من الأمراض والأسـقام ولتعطلت المارسـتانات (المستشـفيات)، ودكاكين الصيادلة. وإنما قال هذا لأن أصل كل داءٍ التخم. والله أعلم.

وَأَصْلُ السَّـلَامَةِ لِلْبَطْنِ وَشَـهَوَاتِهَا اجْتِنَابُ أَكْلِ الحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ بِكَافَّةِ أَنْوَاعِهَا إِلَّا مِـنْ ضَـرُورَةٍ ، وَلَا بَدِيـلَ عَنْهَا ، وَبشُـرُوط الضَّرُورَاتِ المُعْتَبَـرَةُ .. قَالَ حجة الاسـلام في «بِدَايَـةِ الهِدَايَةِ»: وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَاطِـنَ الأُمُورِ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ ، أَوْ تَظُنُّ أَنَّهُ حَرَامٌ ظَنًّا[٢] .

وَلِأَجْلِ تَحْقِيقِ ذٰلِكَ يَدْعُو الإِسْلَامُ إِلَى عَدَمِ التَّوَسُّعِ في المَأْكَلِ وَالمَشْرَبِ وَلَوْ مِنْ حَلَالٍ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ.

---

(١) ص١٩٩ .

(٢) ص٢٠١ .

وَلْيَحْـذَرِ الطَّالِـبُ وَالطَّالِبَـةُ وَالمُرِيـدُ مِنْ إِطْلَاقِ شَـهْوَةِ البَطْنِ لِنَيْـلِ كُلِّ مَا في الأَسْـوَاقِ مِنَ الأَطْعِمَـةِ وَالأَغْذِيَةِ وَالمَأْكُـولَاتِ المُتَنَوِّعَةِ، وَخَاصَّةً مَا يُشَـكُّ في صِنَاعَتِهَـا أو حلهـا ، أَوْ تَبَيَّـنَ حُصُولُ ضَرَرٍ مِـنْ أَكْلِهَا أَوْ شُـرْبِهَا ، كَبَعْضِ مَا يُبَاعُ في الأَسْـوَاقِ وَالمُدُنِ وَالأَرْيَافِ مَكْشُـوفاً أَوْ عُرْضَةً لِلذُّبَابِ وَالجَرَاثِيمِ الضَّارَّةِ، أَوْ مُعَلَّباً فَاسِداً قَدْ تَجَاوَزَ تَارِيخَ صَلَاحِيَّتِهِ وقس على ذلك .

ضَوابِطُ شَهَوَاتِ ٱلفَرْجِ

قَـالَ تَعالَـى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون:٥-٦] ، وَشَـهْوَةُ الفَـرْجِ مِـنْ أَشَـدِّ الشَّـهَوَاتِ ضَرَراً عَلَى المُسْـلِمِ عُمُوماً، وَعَلَى الطَّالِبِ وَالطَّالِبَةِ خُصُوصاً، وَدَوَافِعُهَـا كَثِيرَةٌ يَجِبُ تَجَنُّبُهَـا وَالاحْتِمَاءُ مِنْهَا، وَقَدْ تُصِيبُ كَافَّةَ الجَوَارِحِ البَاقِيَةِ عِنْدَ المَيْلِ إِلَى تَحْقِيقِهَا، فَتَشْـتَرِكُ العَيْنُ وَالأُذُنُ وَاللِّسَـانُ وَاليَدُ وَالرِّجْلُ وَالبَطْنُ فِي - إِقَامَةِ أَسْبَابِ - الوُقُوعِ في شَهْوَةِ الفَرْجِ، وَلِذٰلِكَ يَجِبُ حِفْظُ العَيْنِ عَنِ النَّظَرِ إِلَـى الحَرَامِ، وَالمُثِيـرَاتِ العَاطِفِيَّةِ كَالأَفْلَامِ المَاجِنَةِ وَالصُّـوَرِ، وَبَرَامِجِ التَّوَاصُلِ المُنْحَلَّةِ، وَإِلَى هٰذَا تُشِيرُ الآيَةُ الكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون:٥-٦] ، وَقَوْلِـهِ: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ [النور:٣١].

كَمَـا يَجِبُ حِفْظُ القَلْبِ عَنِ التَّعَلُّقِ وَالتَّفْكِيرِ في وَسَـائِلِ الشَّـهَوَاتِ وَخَيَالَاتِهَا الجَالِبَةِ لِلْإِثَارَةِ، وَالابْتِعَادُ عَنْ ذٰلِكَ بِإِشْغَالِ الوَقْتِ بِمَا يَنْفَعُ وَيَدْفَعُ، وَتَشْتَرِكُ اليَدُ في إِثَارَةِ الشَّـهْوَةِ بِاسْتِخْدَامِهَا في تَحْرِيكِ وَتَشْغِيلِ الأَجْهِزَةِ، وَأَسْبَابِ التَّوَاصُلِ، وَكِتَابَـةِ الرَّسَـائِلِ وَالكَلِمَـاتِ الَّتِي مِنْ شَـأْنِهَا التَّمْهِيـدُ المُفْضِي إِلَـى الوُقُوعِ في جَرِيمَةِ الزِّنَا أَوِ اللِّوَاطِ أَوِ السِّـحَاقِ بَيْنَ النِّسَـاءِ، أَوِ الوُقُوعِ في عِلَّةِ العَادَةِ السِّـرِّيَّةِ المُفْضِيَةِ إِلَى الأَمْرَاضِ وَالعِلَلِ وَالكَآبَةِ وَالوَحْشَةِ وَالهُمُومِ.

كَمَا تَشْـتَرِكُ الرِّجْلُ في الإِثْمِ بِالسَّـعْيِ إِلَى المَوَاطِنِ المَشْـبُوهَةِ، وَالتَّرَدُّدِ عَلَى الأَنْدِيَـةِ وَمُنْتَدَيَـاتِ الإِنْتَرْنِتْ المُعَـدَّةِ لِمِثْلِ هٰـذه الأَغْرَاضِ الدَّنِيئَـةِ، وَمِثْلُ ذٰلِكَ الأُذُنُ بِالسَّـمَاعِ وَالتَّلَذُّذِ بِمُحَادَثَةِ وَمُكَالَمَةِ وَمُرَاسَـلَةِ النِّسَـاءِ لِلرِّجَالِ ، أَوالرِّجَالِ لِلنِّسَـاءِ، وَفِي هٰذَا يُخَاطِبُ القُرْآنُ نِسَـاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾

وَلْيَحْذَرِ الطَّالِبُ وَالطَّالِبَةُ مِنِ اتِّخَاذِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَالأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ الوُقُوعَ فِي الشَّهَوَاتِ وَيُهَيِّئُونَ أَسْبَابَهَا، وَيَجِبُ قَطْعُ العَلَاقَةِ مَعَهُمْ وَعَدَمُ الاسْتِجَابَةِ لِإِغْرَاءَاتِهِمْ وَأَكَاذِيبِهِمْ وَوُعُودِهِمْ، فَقَرِينُ السُّوءِ سُمٌّ نَاقِعٌ ، أَيْ: هَلَاكٌ قَاتِلٌ.

وَلِلشَّيْطَانِ عِدَّةُ وَسَائِلَ يُغْرِي بِهَا الشَّابَّ وَالشَّابَّةَ وَمَنْ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ لِلْوُقوعِ فِي المُقَدِّمَاتِ وَالأَسْبَابِ المُفْضِيَةِ إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، فَلَابُدَّ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ وَتَحْصِينِ الجَوَارِحِ بِالذِّكْرِ وَالأَوْرَادِ وَتَرْتِيبِ وَظَائِفِ الأَوْقَاتِ، وَالانْصِرَافِ الحَازِمِ عَنِ المُثِيرَاتِ وَأَسْبَابِ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

قَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ: (وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللّٰهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَ العُصَاةِ) ، فَإِنَّ هٰذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، وَلَا يَقُولُهَا إِلَّا أَحْمَقُ كَمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ: «**والعاجز مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللّٰهِ الأَمَانِي**»[1] رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(١) «بداية الهداية» ص٢٠٥ باختصار وتصرف.

مَوْقِعُ ٱلقَلْبِ (سُلطَانِ ٱلجوَارِحِ) مِنَ ٱلأَخلَاقِ

يُطْلَقُ مُسَمَّى (سُلْطَانِ الجَوَارِحِ) عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ لِأَهَمِّيَّتِهِ بَيْنَ كَافَّةِ الأَعْضَاءِ فِي الجِسْمِ البَشَرِيِّ، وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» رواه البخاري ومسلم .

وَالقَلْبُ كَمَا وَصَفَهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ (مَحَطُّ نَظَرِ اللّٰهِ) ، كَمَا وَرَدَ في حَدِيثِ: «إِنَّ اللّٰهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أجسادكم ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُم » رواه مسلم.

وَالقَلْبُ مَحَلُّ الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ القِيَمِ وَالأَخْلَاقِ وَأَسْبَابِ المُرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرَّجَاءِ مِنْهُ وَالخَوْفِ مِنْهُ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧] .

قَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ في كِتَابِهِ «المُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ»: بَانَ لِي أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ بَدَنٍ وَقَلْبٍ ، وَأَعْنِي بِالقَلْبِ :

- حَقِيقَةَ رُوحِهِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ، دُونَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ الَّذِي يُشَارِكُ فِيهِ المَيِّتَ وَالبَهِيمَةَ،
- وَأَنَّ البَدَنَ لَهُ صِحَّةٌ وَسَلَامَةٌ وَلَا يَنْجُو: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٩]، وَلَهُ مَرَضٌ فِيهِ هَلَاكُهُ الأَبَدِيُّ الأُخْرَوِيُّ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب:١٢] .
- وَأَنَّ الجَهْلَ بِاللّٰهِ سُمٌّ مُهْلِكٌ، وَإِنَّ مَعْصِيَةَ اللّٰهِ بِمُتَابَعَةِ الهَوَى دَاؤُهُ المُمْرِضُ،
- وَأَنَّ مَعْرِفَةَ اللّٰهِ تَعَالَى تِرْيَاقُهُ المُحْيِي ، وَطَاعَتَهُ بِمُخَالَفَةِ الهَوَى دَوَاؤُهُ الشَّافِي ، وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مُعَالَجَتِهِ بِإِزَالَةِ مَرَضِهِ وَكَسْبِ صِحَّتِهِ إِلَّا بِأَدْوِيَةٍ، كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى مُعَالَجَةِ البَدَنِ إِلَّا بِذَٰلِكَ، وَكَمَا أَنَّ أَدْوِيَةَ البَدَنِ تُؤَثِّرُ في

كَسْبِ الصِّحَّةِ بِخَاصِّيَّةٍ فِيهَا لَا يُدْرِكُهَا العُقَـلَاءُ بِبِضَاعَةِ العَقْلِ ، بَلْ يَجِبُ فِيهَـا تَقْلِيدُ الأَطِبَّاءِ الَّذِينَ أَخَذُوهَا عَنِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أُطْلِعُوا بِخَاصِّيَّةِ النُّبُوَّةِ عَلَـى خَوَاصِّ الأَشْـيَاءِ، فَكَذٰلِكَ بَانَ لِي بِأَنَّ أَدْوِيَـةَ العِبَادَاتِ لَا يُدْرَكُ وَجْهُ تَأْثِيرِهَـا بِبِضَاعَةِ عَقْلِ العُقَـلَاءِ، بَلْ يَجِبُ فِيهَا تَقْلِيدُ الأَنْبِيَـاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا تِلْـكَ الخَـوَاصِّ بِنُورِ النُّبُـوَّةِ ، لا بِبِضَاعَةِ العَقْـلِ، وَعَلَى الجُمْلَـةِ فَالأَنْبِيَاءُ أَطِبَّاءُ أَمْرَاضِ القُلُوبِ[1].

وَيُشِيرُ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ في هٰذِهِ العِبَارَاتِ إِلَى ضَرُورَةِ التَّفَكُّرِ في عَجَائِبِ القَلْبِ وَوَظَائِفِهِ ، وَأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ ارْتِبَاطاً وَثِيقاً بِخَالِقِهِ وَمُحَرِّكِهِ ، وَسِرُّ أَخْلَاقِهِ بَيْنَ الخَالِقِ لِلْقَلْبِ وَالقَلْبِ ، وأَسْبَاب العِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ مِنِ الْتِزَام دَائِمٍ بِالمَأْمُورَاتِ وَاجْتِنَابٍ دَائِـمٍ لِلْمَعَاصِـي ، مَـعَ التَّعْظِيمِ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالًـى، وَمَعَ الصَّبْرِ عَلَى القِيَامِ بِحُقُوقٍ الخَلْقِ ، كُلٌّ مِنْهُمْ في مَرْتَبَتِهِ الَّتِي وَضَعَهُ اللّٰهُ فِيهَا.

وَلَا يَتَأَتَّـى ذٰلِـكَ إِلَّا بِعِلْـمِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُـلِ ، فَفِيهِ العَافِيَةُ مِـنْ أَمْرَاضِ القُلُوبِ وَرَانِ الذُّنُوبِ وَعِلَلِ النَّفْسِ وَالهَوَى ، وَمِنْ أَثَرِ الشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا.

وَيُحَـذِّرُ الإِمَامُ الغَزَالِـيُّ طُلَّابَهُ وَطَالِبَاتِهِ مِنْ ثَلَاثِ خَبَائِـثَ مِنْ خَبَائِثِ القَلْبِ ، وَهِـيَ: الحَسَـدُ وَالرِّيَاءُ وَالعُجْبُ ، قَالَ رَسُـولُ اللّٰـهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ: «ثَـلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، شُـحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَـوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِـهِ» رواه ابن بشران في أماليه ، وفي ضعف ، وأصل معناه في الصحيح.

وَالمُسْـلِمُونَ المُعَاصِرُونَ يُرَدِّدُونَ شِعَاراً اسْـتَخْلَصُوهُ مِنْ عَالَمِ الكُفْرِ وَالكُفَّارِ ، وَهُوَ : العَقْلُ السَّـلِيمُ في الجِسْـمِ السَّلِيمِ ، وَهٰذَا شِـعَارٌ بَاطِلٌ في الإِسْلَامِ وَغَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ دِينَ الإِسْلَامِ لَا يَنْظُرُ إِلَى الجِسْمِ ، وَإِنَّمَا إِلَى القَلْبِ وَالعَمَلِ ، وَفِي هٰذَا الشَّأْنِ يَجِبُ تَصْحِيحُ هٰذَا الشِّعَارِ الخَاطِئِ إِلَى شِعَارِ الإِسْلَامِ : العَقْلُ السَّلِيمُ في القَلْبِ السَّـلِيمِ ، وَقَدْ رَوَى مُسْـلِمٌ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّمَ قَوْلَهُ: «إِنَّ

---

(١) المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ، تقديم وعناية أسعد الحمراني ، دار النفائس ، الطبعة الأولى.

اللّٰـهَ لَا يَنْظُـرُ إِلَـى صُوَرِكُمْ وَأَجْسَـامِكُمْ وَلٰكِنْ يَنْظُـرُ إِلَى قُلُوبِكُـمْ وأعمالكم » ، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قلوبكم وَنياتكم» وقال صلى الله عليه وآله وسـلم (التقوى هاهنا ويشـير الى صدره الشريف ثلاث مرات) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وآله وسـلم (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَـدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) رواه البخاري ومسلم

لَا تَكْتَمِلُ شَخْصِيَّةُ الفَرْدِ المُسْلِمِ وَالمُسْلِمَةِ إِلَّا بِالعِلْمِ .. وَالعِلْمُ مَا بَيْنَ الحَدِّ الأَدْنَى فِي الطَّلَبِ وَالحَدِّ الأَكْمَلِ وَالحَدِّ الأَشْمَلِ. فَالحَدُّ الأَدْنَى مَعْرِفَةُ العِلْمِ الفَرْضِيِّ الوَاجِبِ فِي شَأْنِ عَلَاقَةِ الإِنْسَانِ بِعِلْمِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَإِقَامَةِ الحُقُوقِ ، بَدْءاً مِنْ حَقِّ اللّٰهِ تَعَالَى مَعْرِفَةً وَعِبَادَةً، وَنِهَايَةً بِحَقِّ الذَّاتِ وَالجَوَارِحِ فِي الإِنْسَانِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ حَقِّ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ وَالعِلْمِ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ قَوَاعِداً وَتَطْبِيقَاتٍ، وَحَقِّ الوَالِدَيْنِ وَالأَرْحَامِ وَالجِيرَانِ ، وَحَقِّ الزَّوْجِيَّةِ رَجُلاً وَامْرَأَةً، وَحَقِّ الطِّفْلِ ، وَحَقِّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ، ، وَحَقِّ الإِنْسَانِ عَلَى الإِنْسَانِ ، وَحُقُوقِ الحَيَوَانِ، وَيَتِمُّ هٰذَا بِدِرَاسَةِ عُلُومِ مَرْتَبَةِ الإِسْلَامِ.

وَأَمَّا الحَدُّ الأَكْمَلُ فَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ مَعَ كَمَالِ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ إِلَى حَدِّ الإِيثَارِ وَكَمَالِ العَفْوِ وَالحِلْمِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الظَّالِمِ وَعَدَمِ المُطَالَبَةِ بِالحُقُوقِ، وَالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ اللّٰهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ تَحْقِيقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠] ، وَقَوْلِهِ : ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

وَيَدْخُلُ فِي الحَدِّ الأَكْمَلِ مَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ مِنْ شُؤُونِ الثَّقَافَةِ وَالعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالمَرْحَلَةِ وَمَطَالِبِهَا وَتَقَلُّبَاتِ أَحْوَالِهَا ، احْتِرَازاً مِنَ الوُقُوعِ فِي المَهَالِكِ وَالأَحَابِيلِ السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالعَقَدِيَّةِ وَالفِئَوِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ وَالطَّبَقِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَخَاصَّةً لِطَالِبِ العِلْمِ المُحْتَكِّ بِالأَعْمَالِ الخَدَمَاتِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ.

وَيَتِمُّ هٰذَا الأَمْرُ بِتَحْقِيقِ عُلُومِ الإِسْلَامِ السَّالِفِ ذِكْرُهَا ، مَعَ عُلُومِ الإِيمَانِ وَالعَقَائِدِ وَنَقَائِضِهَا ، وَالعِلْمِ الأَوَّلِيِّ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَمَارَاتِهَا قَوَاعِداً وَتَطْبِيقَاتٍ.

وَأَمَّا الحَدُّ الأَشْمَلُ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ المَعْنِيُّ فِي الأَثَرِ: اطْلُبِ العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، وَصَاحِبُ هٰذَا العِلْمِ يَظَلُّ فِي تَحْقِيقِ مَرْتَبَةِ المُرِيدِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى امْتِلَاكِ سِرِّ الإِرَادَةِ ، وَهِيَ المَرْتَبَةُ القَعْسَاءُ العَالِيَةُ فِي دِينِ الإِسْلَامِ ، وَتُسَمَّى

مَرْتَبَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ الكُبْرى، وَقَدْ نَالَهَا في الإِسْلَامِ العَدِيدُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا نَالَهَا العَدِيدُ مِنْ آلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ وَمَنْ تَحَلَّى بِأَدَبِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ عَلَى أَمَانَةٍ وَحُسْنِ دِيَانَةٍ مِنْ كِلَا الجِنْسَيْنِ، وَيَحُوزُهَا المَرْءُ رَجُلاً وَامْرَأَةً بِتَحْقِيقِ وَتَدْقِيقِ أَسْرَارِ العُلُومِ الثَّلَاثَةِ وَالرُّكْنِ الرَّابِعِ، وَهِيَ عُلُومُ الإِسْلَامِ وَتَطْبِيقَاتِهِ، وَالإِيمَانِ وَتَطْبِيقَاتِهِ، وَالإِحْسَانِ وَتَطْبِيقَاتِهِ، وَالعِلْمُ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ قَوَاعِداً وَتَطْبِيقَاتٍ وَعِرْفَاناً.

وَيَخْتَصُّ أَهْلُ هٰذِهِ المَرْتَبَةِ بِعِلْمِ العِرْفَانِ ، كَثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدِّيقِيَّةِ الكُبْرى الَّتِي لَا يَنَالُهَا إِلَّا أَهْلُهَا ، المُنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللّٰهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣٥]، وَالعِرْفَانُ عِنْدَ أَهْلِ هٰذَا العِلْمِ : تَحْقِيقُ عُلُومِ الحَيَاةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالوَضْعِيَّةِ عَلَى قَوَاعِدِ الرَّبْطِ بَيْنَ الدِّيَانَةِ وَالحَيَاةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ عُلُومٍ:

١. عِلْمُ الأَزَلِ وَالسَّوَابِقِ وَالخواتِيم.
٢. عِلْمُ الأَجَلِ وَالأَمَلِ.
٣. عِلْمُ الأَمَدِ.
٤. عِلْمُ الأَبَدِ.

وَبِرَغْمِ أَنَّ مَبَادِئَ هٰذِهِ العُلُومِ مَذْكُورَةٌ في أَقْسَامِ العُلُومِ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَفِقْهِ التَّحَوُّلَاتِ ؛ إِلَّا أَنَّ مَرْتَبَتَهَا العُلْيَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالتَّدْقِيقِ وَالتَّحْقِيقِ في أَسْرَارِ العُلُومِ وَحَقِيقَتِهَا، وَلَيْسَ مَظْهَرَهَا وَصُورَتَهَا. فَالعَارِفُونَ بِاللّٰهِ الوَارِثُونَ لِسِرِّ الصِّدِّيقِيَّةِ الكُبْرَى في بُحُورِ أَسْرَارِ الهَيْبَةِ الإِلٰهِيَّةِ بِالعِلْمِ الأَشْمَلِ الَّذِي هُوَ: (عِلْمُ العِرْفَانِ) هُمْ كَذَلِكَ مُنْذُ كُشِفَ لَهُمْ حِجَابُ الذَّاتِ وَحِجَابُ المَوْجُودَاتِ ، تَحْقِيقاً لِقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى في حَدِيثِهِ القُدُسِيِّ: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» رواه البخاري.

لَا يُمْكِـنُ اجْتِنَـاءُ الثَّمَـرَاتِ الأَدْنَـى وَمَـا فَوْقَهَا فـي عُلُـومِ الإِسْـلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَـانِ وَفَوَائِـدِ عِلْـمِ المُتَغَيِّـرَاتِ مَـعَ الوُقُـوعِ فـي المَعَاصِـي وَالفُسُـوقِ وَالجُنُوحَاتِ المُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ الحَنِيفِ.

وَيَنْقَطِـعُ عِلْـمُ الطَّالِبِ العَاصِي عَنْ سِـرِّ الدِّيَانَةِ وَالأَمَانَةِ ، وَتَبْقَـى لَهُ صُورَتُهَا ، حَتَّـى يَتُوبَ وَيُنِيبَ وَيَسْـتَغْفِرَ اللَّـهَ تَعَالَى ، قَـالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥] ، وَقَـالَ تَعَالَـى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان:٧٠].

وَالمَعَاصِي وَأَسْبَابُ الفُسُوقِ كَثِيرَةٌ ، وَتَنْقَسِمُ إِلَى أربعة أقسام :

(١) **أكبر الكَبَائِرُ وَالمُوبِقَاتُ** : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور**) رواه البخاري

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ألا أُنبِّئُكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو قول الزور**)، وكان رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مُتَّكِئًا، فجلَس، فما زال يُكرِّرها؛ حتى قلنا: ليتَه سَكَتَ) رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: (**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**) متفق عليه.

(٢) **بقيـة الكبائر** : وهي ما توعد الله فاعلها في كتابه الكريم او على لسان نبيه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم باللعن او الطرد من رحمة الله او العذاب

الأليم او الشديد....

(٣) **الصغائـر واللمم** : وهي المعاصي التي نهانـا الله عنها في كتابه او على لسـان نبيه سـيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لم يتوعد الله مرتكبها بشـيء من العـذاب قال تعالى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْـمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) [لنجم:٣٢].

٤) الخواطـر (وَهِـيَ وَسَـاوِسُ القَلْبِ) وهي معفو عنها عند عـوام الناس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (**ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به انفسها مـا لـم تـعـمل به اوتتكلـم به**) وفي روايـة (**ان الله تجـاوز عن امتي ما وسوسـت بـه صدورهـا ما لـم تعـمل بـه او تتكلم بـه**) رواه الجماعة ، لكنها عنـد أهل الله تعـد معصيـة ينبغي التوبة منها فلا يخطر في قلوبهم الا مـا كان موافقا لمراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وَالعَارِفُونَ بِاللّٰهِ يَبْلُغُونَ إِلَى مَرْتَبَةِ العِرْفَانِ بَعْدَ إِزَالَةِ آثَارِ اللَّمَمِ مِنَ القُلُوبِ ، اِسْـتِجَابَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾ [الأنعام:١٢٠]، وَشَـرْطُ زَوَالِ أَثَـرِ المَعْصِيَةِ بِمَرَاتِبِهَا المُتَنَوِّعَةِ الرُّجُـوعُ إِلَى اللّٰهِ وَعَدَمُ الوُقُوعِ في الذَّنْبِ مَرَّةً أُخْرَى، وَالنَّدَمُ عَلَى الفِعْلِ ، وَالاسْتِغْفَارُ مِنْهُ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزُّمَر:٥٣-٥٩] ، نَسْـأَلُ اللّٰهَ الحِفْظَ وَالسَّلَامَةَ آمِين.

أَثَرُ ٱلطَّاعَةِ فِي طَلَبِ ٱلعِلْمِ

كَمَا أَنَّ لِلْمَعْصِيَةِ وَالفُسُوقِ أَثَراً عَلَى سَلامَةِ طَالِبِ العِلْمِ وَدِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ رَجُلاً وَامْرَأَةً، فَكَذٰلِكَ الحَالُ في طَالِبِ العِلْمِ وَطَالِبَتِهِ عِنْدَ الالْتِزَامِ بطَاعَةِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ ، إِذْ يَظْهَرُ عَلَيْهِمَا الأَثَرُ النُّورَانِيُّ في العِلْمِ وَالعَمَلِ ، وَيَتَدَرَّجُ طَالِبُ العِلْمِ الطَّائِعُ المُخْبِتُ المُنِيبُ في الفَتْحِ الرَّبَّانِيِّ بِكِلَا الأَمْرَيْنِ:

١-العِلْمُ المُكْتَسَبُ ، وَيَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّائِعُ وَالعَاصِي مِنْ خِلَالِ الدِّرَاسَةِ وَ الاكْتِسَابِ لِظَوَاهِرِ المَعْرِفَةِ وَقَوَاعِدِهَا.

٢-العِلْمُ اللَّدُنِّيُّ المَوْهُوبُ: وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي يَتَرَقَّى فِيهِ المُرِيدُ وَطَالِبُ العِلْمِ بِوَاسِطَةِ تَطْبِيقَاتِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ بِأَرْكَانِهِ الأَرْبَعَةِ ، مَرْحَلَةً بَعْدَ أُخْرَى ، حَتَّى يَنَالَ الفَتْحَ الرَّبَّانِيَّ اللَّدُنِّيَّ المُشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ**﴾ [ٱلبقرة:٢٨٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [ٱلكهف:٦٥].

وَلِأَنَّ هٰذَا العِلْمَ لَا يَتَأَتَّى بِمُمَارَسَةِ المَعْصِيَةِ وَالفُسُوقِ ، وَإِنَّمَا بِالطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ وَحُسْنِ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللّٰهِ وَآلَائِهِ ؛ قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ:

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

قَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ في «بِدَايَةِ الهِدَايَةِ»: وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي اللّٰهَ تَعَالَى بِجَوَارِحِكَ ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللّٰهِ عَلَيْكَ ، وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ ، فَاسْتِعَانَتُكَ بِنِعْمَةِ اللّٰهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ الكُفْرَانِ ، وَخِيَانَتُكَ في أَمَانَةٍ أَوْدَعَهَا اللّٰهُ فِيكَ غَايَةُ الطُّغْيَانِ ، فَإِنَّ أَعْضَاءَكَ رَعَايَاكَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْعَاهَا ،

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه .

أَثَرُ ٱلمَدْرَسَةِ ٱلعَصْرِيَّةِ فِي جُنُوحِ ٱلطُّلَّابِ

مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى فُقْدَانِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَفُقْدَانِ التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ظُهُورُ المَدَارِسِ الحَدِيثَةِ في بِلَادِ المُسْلِمِينَ خِلَالَ مَرْحَلَةِ الاسْتِعْمَارِ وَمَا بَعْدَهَا. مَعَ أَنَّ العِلْمَ الحَدِيث لَيْسَ مَذْمُوماً في ذَاتِهِ ؛ وَلٰكِنَّهُ اتُّخِذَ وَسِيلَةً وَبَدِيلاً عَنْ عِلْم القِيَمِ وَالأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ في أُمَّةِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَانْقَلَبَ مِيزَانُ المَنْهَجِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْ ضَابِطِهَا الإِسْلَامِيِّ إِلَى المَنْهَجِيَّةِ العَقْلَانِيَّةِ الوَضْعِيَّةِ وَضَابِطِهَا العِلْمَانِيِّ الاسْتِسْلَامِيِّ.

وَمِثْلُ هٰذَا الأَمْرِ يُعْرَفُ بِإِعَادَةِ دِرَاسَتِنَا الشَّرْعِيَّةِ لِلْعُلُومِ الأَرْبَعَةِ قَوَاعِداً وَتَطْبِيقَاتٍ: إِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ وَإِحْسَانٍ وَعِلْمٍ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

وَمَنْ لَمْ يَدْرُسِ العُلُومَ الأَرْبَعَةَ يَظَلُّ في عِلْمِهِ قَاصِرَ الإِدْرَاكِ مِنْ جِهَةٍ ، أَوْ وَاقِعاً في الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَالعِلَاجُ الأَمْثَلُ لِمُشْكِلَةِ هٰذَا الأَثَرِ السَّلْبِيِّ في المَدْرَسَةِ العَصْرِيَّةِ يَتَحَقَّقُ بِمَا يَلِي:

١. إِعَادَةُ الرَّبْطِ بَيْنَ العِلْمِ النَّظَرِيِّ الحَدِيثِ، وَبَيْنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، مِنْ خِلَالِ الدَّمْجِ في مُؤَسَّسَاتِ التَّعَلُّمِ وَالثَّقَافَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الجَامِعِيَّةِ العُلْيَا بَيْنَهَا عَلَى مَنْهَجِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَاعِيَةٍ.
٢. إِهْتِمَامُ الطَّالِبِ وَالطَّالِبَةِ بِالعِلْمِ وَثَمَرَاتِهِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا كَغَايَةٍ ، وَأَمَّا الشَّهَادَةُ وَالمُسْتَوَى فَهُوَ مُجَرَّدُ وَسِيلَةٍ ، وَخَاصَّةً لِلرَّاغِبِينَ عَلى حُصُوْلِ الشِّهَادَةِ وَلَوْ بِالتَزْوِيْرِ أو الغش وما أكثرهم في هذا الزمن .
٣. الفَصْلُ الشَّرْعِيُّ بَيْنَ الفَتَى وَالفَتَاةِ في صُفُوفِ التَّعْلِيمِ، فَالِاخْتِلَاطُ ضَرَرٌ مَحْضٌ ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الشَّيْطَانِ لِإِشْغَالِ العُقُولِ وَالقُلُوبِ عَنِ الاسْتِفَادَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَلَا قِيمَةَ في الإِسْلَامِ لِنَوَاعِيقِ الأَفْكَارِ الغَازِيَةِ وَالمُتَّخِذَةِ مِنَ الحُرِّيَّةِ وَالتَّقَدُّمِ وَالمُسَاوَاةِ وَحُقُوقِ المَرْأَةِ وَسِيلَةً لِإِفْسَادِهَا

وَإِسْقَاطِ شَـرَفِهَا وَقِيمَتِهَا الشَّـرْعِيَّةِ الِاعْتِبَارِيَّةِ، وَفِي الإِسْلَامِ وَقِيَمِهِ وَآدَابِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ مَا يُغْنِي المَرْأَةَ المُسْـلِمَةَ وَالرَّجُلَ المُسْـلِمَ عَن حِيَلِ المُفْسِدِينَ وَأَحَابِيلِ المُسْتَعْمِرِينَ وَالمُسْتَهْتِرِينَ.

تَرْتِيبُ وَظَائِفِ ٱلْأَوْقَاتِ أَسَاسُ ٱلالْتِزَامِ

لَا يَصْلُـحُ حَالُ المُرِيدِ- وَلَا حَالُ طَالِبِ وَطَالِبَـةِ العِلْمِ في كَافَّةِ المَرَاتِبِ - إِلَّا بِتَرْتِيبِ وَظَائِفِ الأَوْقَاتِ، وَوَضْعِ الوَقْتِ فِيمَا يُنَاسِـبُهُ مِنَ العِبَادَةِ وَحُسْنِ العَادَةِ، وَقَدْ قال علماء التسليك : يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ:

١. سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.
٢. سَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ.
٣. سَاعَةٌ يَأْتِي فِيهَا العُلَمَاءَ الَّذِينَ يُبَصِّرُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَيَنْصَحُونَهُ.
٤. سَاعَةٌ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَلَذَّاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ لَهُ [(١)].

وَقَدْ قَسَّمَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ وَظَائِفَ الأَوْقَاتِ في كِتَابِهِ «بِدَايَةُ الهِدَايَةِ» إِلَى أَقْسَامٍ:

١. وَظِيفَةُ آدَابِ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّوْمِ.
٢. آدَابُ دُخُولِ الخَلَاءِ.
٣. آدَابُ الوُضُوءِ.
٤. آدَابُ الغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ.
٥. آدَابُ التَّيَمُّمِ.
٦. آدَابُ الخُرُوجِ إِلَى المَسْجِدِ.
٧. آدَابُ دُخُولِ المَسْجِدِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ.
٨. آدَابُ مَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ.
٩. آدَابُ الاسْتِعْدَادِ لِسَائِرِ الصَّلَوَاتِ.
١٠. آدَابُ النَّوْمِ.
١١. آدَابُ الصَّلَاةِ.

---

(١) آداب المريدين ٥٦.

١٢. آدَابُ الإِقَامَةِ وَالقُدْوَةِ.

١٣. آدَابُ الجُمُعَةِ[١].

١٤. آدَابُ الصِّيَامِ[٢].

وَلِكُلِّ أَدَبٍ مِنْ هٰذِهِ الآدَابِ تَفْصِيلٌ وَشُرُوطٌ وَضَوَابِطُ أَسْهَبَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ فِي ذِكْرِهَا، وَقَالَ عَنْهَا مُحَرِّضاً وَمُحَبِّباً: فَإِذَا أَعْمَرْتَ بِالتَّقْوَى بَاطِنَ قَلْبِكَ فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَرْتَفِعُ الحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَتَنْكَشِفُ لَكَ المَعَارِفُ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ، وَتَتَّضِحُ لَكَ أَسْرَارُ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ المَعْرِفَةَ مِنَ القِيلِ وَالقَالِ وَالمِرَاءِ وَالجِدَالِ فَمَا أَعْظَمَ حِرْمَانَكَ وَخُسْرَانَكَ[٣].

---

(١) نظمنا لطلاب وطالبات الأربطة منظومة تعليمية سميناها «كهف السبعة في فضائل الجمعة».

(٢) نظمنا للطلاب والطالبات منظومة أسميناها «الموائد الربانية في الوظائف الرمضانية».

(٣) «بداية الهداية» ص ٢٢٩ - ٣٣٠.

ٱلحَدُّ ٱلأَدْنَى مِنْ تَرْتِيبِ وَظَائِفِ ٱلأَوْقَاتِ

لِوَظَائِـفِ الأَوْقَاتِ جُمْلَةٌ مِنَ العِبَادَاتِ وَأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ الَّتِي يَجِبُ المُحَافَظَةُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي حَدِّهَا الأَدْنَى الْتِزَامُ الوَظَائِفِ التَّالِيَةِ:

١. المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الجَمَاعَةِ.
٢. المُحَافَظَةُ عَلَى الرَّوَاتِبِ وَالأَذْكَارِ.
٣. حُضُـورُ مَجَالِـسِ الذِّكْـرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُـولِ اللّٰـهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
٤. المُحَافَظَةُ عَلَى القِيَامِ آخِرَ اللَّيْلِ.
٥. المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاةِ الوِتْرِ.
٦. المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاة الضُّحَى.
٧. المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاةِ الاسْتِخَارَةِ.
٨. المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاةِ الإِشْرَاقِ.
٩. المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاةِ الحَاجَةِ.
١٠. المُحَافَظَةُ عَلَى قِرَاءَةِ الوِرْدِ اللَّطِيفِ صَبَاحاً وَمَسَاءً.
١١. قِرَاءَةُ سُورَةِ الوَاقِعَةِ وَحِزْبِ البَحْرِ بَعْدَ صَلَاةِ العَصْرِ.
١٢. إِحْيَاءُ مَا بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ.
١٣. قِرَاءَةُ رَاتِبِ الإِمَامِ الحَدَّادِ قَبْلَ النَّوْمِ.
١٤. قِرَاءَةُ سُورَةِ تَبَارَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ.
١٥. قِرَاءَةُ سُورَةِ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَتَهَا.
١٦. كَثْرَةُ الصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا.
١٧. المُحَافَظَةُ عَلَى الشَّـعَائِرِ التَّعَبُّدِيَّةِ كَالسِّـوَاكِ، وَنَظَافَةِ الثَّـوْبِ عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَالمُبَـادَرَةُ إِلَـى الصَّلَاةِ، وَكَثْـرَةُ الاِعْتِـكَافِ، وَعَدَمُ اللَّغَطِ فِي المَسَـاجِدِ،

وَاجْتِنَابُ مَوَاقِعِ الرِّيَبِ وَالشَّكِّ وَغَيْرِ ذٰلِكَ.

١٨. الاسْتِفَادَةُ مِنَ الأَوْقَاتِ بِالمُطَالَعَةِ وَالمُرَاجَعَةِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَتَفَهُّمِ مَعَانِي سُنَّةِ المُصْطَفَى صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمُرَاجَعَةُ كُتُبِ العِلْمِ النَّافِعِ كَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ وَالسِّيرَةِ وَاللُّغَةِ وَالتَّارِيخِ وَغَيْرِهَا مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَخْذِ نَصِيبٍ مِنَ الثَّقَافَةِ وَالعِلْمِ الحَدِيثِ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُ مَرْحَلَتَهُ وَزَمَانَهُ.

آدَابُ ٱلْمُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ

١. أَنْ يَبْدَأَهُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ.
٢. أَنْ يُقَلِّلَ الكَلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ.
٣. أَلَّا يَتكَلَّمَ إِلَّا جَوَاباً عَلَى أُسْتَاذِهِ إِذَا سَأَلَهُ.
٤. أَلَّا يَسْأَلَ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ بِأَدَبٍ.
٥. أَلَّا يُعَارِضَهُ وَلَا يُشِيرَ بِخِلَافِ رَأْيِهِ وَلَوْ كَانَ صَادِقاً.
٦. أَلَّا يُنَاجِي جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِ أُسْتَاذِهِ.
٧. أَلَّا يَتَلَفَّتَ إِلَى جِهَةِ اليَمِينِ أَوِ الشِّمَالِ.
٨. أَنْ يَكُفَّ عَنِ الكَلَامِ مَعَهُ إِذَا أَظْهَرَ مَلَالَهُ(١).
٩. إِذَا قَامَ قَامَ مَعَهُ، وَلَا يَتْبَعُهُ.
١٠. أَلَّا يُسِيءَ بِهِ الظَّنَّ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ مَا يَعْتَقِدُهُ مِنْ أَفْعَالِهِ خطأ ، بَلْ يَسْأَلُهُ بِأَدَبٍ وَيَسْتَفْسِرُ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ.
١١. أَلَّا يَغِيبَ بِغَيْرِ عُذْرٍ عَنْ مَجَالِسِ عِلْمِهِ.
١٢. أَنْ يَفْرَحَ بِمَا يُفْرِحُهُ ، وَيُنْكِرَ مَا يُنْكِرُهُ.

---

(١) الملال: التضجر أو عدم الرغبة في سماع القول.

أَدَبُ ٱلصُّحبَةِ وَٱلأُخُوَّةِ

قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**» رواه احمد وأبو داود والترمذي، وَإِذَا طَلَبْتَ رَفِيقًا أَوْ صَاحِباً فَرَاعِ وُجُودَ خَمْسِ خِصَالٍ فِيهِ:

الأُولَى : العَقْلُ، حَيْثُ لا خَيْرَ في صُحْبَةِ الأَحْمَقِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُرَاعِي مَصْلَحَةَ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ سَيُرَاعِي مَصْلَحَةَ صَاحِبِهِ.

الثَّانِيَةُ : حُسْنُ الخُلُقِ.

الثَّالِثَةُ : الصَّلَاحُ وَالتَّقْوَى .

الرَّابِعَةُ : الأَدَبُ في العِلْمِ.

الخَامِسَةُ : الزُّهْدُ في الدُّنْيَا.

فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الخِصَالُ الخَمْسَةُ في صَاحِبٍ فَالْزَمْهُ وَأَحْسِنِ المُعَامَلَةَ مَعَهَ، قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْفَقُهُمَا بِصَاحِبِهِ**» الكافي (٢/ ١٢٠)

وَمِنْ شُرُوطِ الصُّحْبَةِ مَا يَلِي :

١. الإِيثَارُ بِالمَالِ عِنْدَ الحَاجَةِ.
٢. المُبَادَرَةُ إِلَى التَّعَاوُنِ وَحُسْنِ التَّفَاهُمِ.
٣. كِتْمَانُ السِّرِّ.
٤. سَتْرُ العَيْبِ.
٥. حُسْنُ الإِصْغَاءِ عِنْدَ الحَدِيثِ.
٦. تَرْكُ المُمَارَاةِ وَالجَدَلِ مَعَهُ.
٧. تَرْكُ المُزَاحِ المُفْرِطِ.
٨. أَنْ يُنَادِيهِ بِأَحَبِّ الأَسْمَاءِ إِلَيْهِ.

٩. أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَقْرَانِهِ وَيَشْكُرَهُ عِنْدَ صَنِيعِهِ خَيْراً.
١٠. أَنْ يَذُبَّ عَنْهُ في غِيَابِهِ إِذَا تَعَرَّضَ أَحَدٌ لِعِرْضِهِ أَوْ دِينِهِ.
١١. أَنْ يَنْصَحَهُ بِلُطْفٍ وَحُسْنِ عِبَارَةٍ.
١٢. أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ ، وَلَا يَعِيبَ عَلَيْهِ.
١٣. أَنْ يَدْعُوَ لَهُ في حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.
١٤. أَنْ يُحْسِنَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ.
١٥. أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ ، فَلَا يُكَلِّفَهُ شَيْئاً مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ.
١٦. أَنْ يَكُونَ صَادِقاً في صُحْبَتِهِ في سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ.
١٧. أَنْ يَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ عِنْدَ لِقَائِهِ ، وَأَنْ يُوَسِّعَ لَهُ فِي المَجْلِسِ، وَأَنْ يُوَدِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ.
١٨. أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى كَلَامِهِ.
١٩. أَنْ يُعَامِلَهُ بِمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

أَدَبُ ٱلاخْتِيَارِ فِي ٱلمُخَالَطَةِ وَٱلمُعَاشَرَةِ

مِنْ أَدَبِ الطَّالِبِ وَالطَّالِبَةِ وَكُلِّ مُسْلِمٍ يَرْجُو الدَّارَ الآخِرَةَ أَلَّا يَشْتَغِلَ بِمُخَالَطَةِ النَّاسِ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَالجُلُوسِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَأَنْدِيَتِهِمْ طَلَباً مِنْهُ وَحِرْصاً عَلَى ذٰلِكَ.

وَإِذَا مَا ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى غَيْرِ طَلَبٍ وَلَا حِرْصٍ عَلَيْهِ – وَخَاصَّةً فِيمَنْ تَقَعُ مَعَهُمُ المُعَاشَرَةُ وَالمُخَالَطَةُ فِي المَنْزِلِ وَالحَارَةِ وَالمَسْجِدِ وَالمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ – فَيَجِبُ الِالْتِزَامُ بِآدَابِ المُعَامَلَةِ وَضَوَابِطِهَا ، وَمِنْهَا:

١. أَلَّا يسْتَصْغِرَ أَحَداً أَوْ يهْزَأَ بِهِ.
٢. أَلَّا ينْظُرَ إِلَى مَجَالِسِهِمْ وَأَنْدِيَتِهِمْ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَجَالِسَ عِلْمٍ نَافِعٍ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، أَوْ نَشَاطٍ اجْتِمَاعِيٍّ مُفِيدٍ.
٣. أَلَّا يُشَارِكَهُمْ فِي لَغْوِهِمْ وَمِزَاحِهِمُ المُفْرِطِ .
٤. أَلَّا يُقَابِلَهُمْ بِالعَدَاوَةِ إِنْ عَادَوْهُ أَوْ نَبَذُوهُ.
٥. أَلَّا يَطْمَئِنَّ إِلَى احْتِرَامِهِمْ أَوْ إِكْرَامِهِمْ لَهُ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ ، بَلْ يَشْكُرُهُمْ وَيُظْهِرُ مَوَدَّتَهُمْ ، وَيحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوهُ بِصُحْبَتِهِمْ.
٦. أَلَّا يَغْضَبَ فِي مَجْلِسِهِمْ وَلَا يَتَنَاوَلَ أَحَداً مِنْهُمْ بِسُوءٍ أَوِ انْتِقَادٍ.
٧. وَأَلَّا يَعِظَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ إِلَّا إِذَا تَوَسم فِيهِ عَلَامَاتِ الرَّغْبَةِ وَالقَبُولِ.
٨. أَلَّا يُكَلِّفَهُمْ سَمَاعَ رَأْيِهِ وَمَعْرِفَةَ عِلْمِهِ ، وَخَاصَّةً إِذَا أَظْهَرُوا اسْتِنْكَافَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ.
٩. أن ينصح من يحتاج منهم الى نصح باللين والرفق وعلى انفراد
١٠. أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ حَسَنَ السَّمَاعِ ، حَسَنَ النُّطْقِ ، حَسَنَ الصَّمْتِ ، وَأَنْ يَحْفَظَ مَعَايِبَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَذْكُرْ شَيْئاً مِنْهَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.
١١. أَنْ يَحْذَرَ مُجَالَسَةَ المُتَرَسِّمِينَ بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى صِفَةِ الحِزْبِيَّةِ المَقِيتَةِ،

أَوِ الفِئَوِيَّـةِ المُتَعَصِّبَـةِ، فَـإِنَّ مُجَالَسَـتَهُمْ ضَـرَرٌ عَلَيْـه ، وَبَابٌ إِلَـى التَّكَتُّلِ وَالتَّعَصُّبِ.

١٢. أَلَّا يُشَـبِّكَ أَصَابِعَـهُ ، وَلَا يَعْبَـثَ بِلِحْيَتِـهِ أَوْ خَاتَمِهِ ، أَوْ تَخْلِيلِ أَسْـنَانِهِ ، أَوْ إِدْخَالِ أُصْبُعِهِ فِي أَنْفِهِ ، أَوْ كَثْرَةِ بُصَاقِهِ وَتَنَحْنُحِهِ وَجُشَائِهِ.

١٣. أَلَّا يُكْثِرَ مِنَ التَّمَطِّي وَالتَّثَاؤُبِ.

١٤. أَنْ يُحْسِـنَ الإِنْصَاتَ عِنْدَ كَلَامِ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يَصْرِفَ سَـمْعَهُ عَنِ المَضَاحِكِ وَالحِكَايَاتِ المُسِفَّةِ وَالتَّعْلِيقَاتِ النَّقْدِيَّةِ عَلَى الغَيْرِ.

١٥. أَلَّا يَتَزَيَّنَ فِي مَلْبَسِهِ تَزَيُّنَ المَرْأَةِ، وَأَلَّا يَتَبَذَّلَ تَبَذُّلَ المُهْمِلِ.

١٦. أَلَّا يَكْشِفَ لَهُمْ أَسْرَارَهُ وَخُصُوصِيَّاتِ حَيَاتِهِ.

١٧. أَلَّا يَنْفَعِـلَ فِـي حَدِيثِهِ إِذَا اسْـتَفَزَّهُ أَحَـدٌ مِنْهُـمْ ، وَأَنْ يُحْسِـنَ التَّخَلُّصَ مِنَ المَجْلِسِ بِهُدُوءٍ

١٨. ولا ينبغـي أن يغفـل عـن دعـاء كفـارة المجلس وهـو (سـبحانك اللهم وبحمدك أشـهد ان لا اله الا انت أسـتغفرك وأتوب اليك) رواه الترمذي وهو صحيح .

آدَابُ ٱلرِّحَلَاتِ لِطَالِبِ ٱلعِلْمِ فِي ٱلدَّاخِلِ وَٱلخَارِجِ

عِنْدَ حُصُولِ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحَلَاتِ العِلْمِيَّةِ أَوِ الدَّعَوِيَّةِ أَوِ العِلَاجِيَّةِ أَوِ التَّرْفِيهِيَّةِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ مِنْ دَاخِلِ البِلَادِ أَوْ خَارِجِهَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ العِلْمِ الالْتِزَامُ بِمَا يَلِي:

١. النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ، وَتَحْدِيدُ هَدَفِ الرِّحْلَةِ وَجِهَتِهَا وَدَوَافِعِهَا وَثَمَرَتِهَا.
٢. الالْتِزَامُ بِتَقْوَى اللّٰهِ وَالمُحَافَظَةُ عَلَى الوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَوْقَاتِهَا كالصلاة جَمْعاً وَقَصْراً، وَالقِيَامُ بِمَا اعْتَادَ مِنَ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ.
٣. حِفْظُ الجَوَارِحِ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَنْهِيَّاتِ، وَتَجَنُّبِ التَّعَرُّضِ إِلَى أَسْبَابِ ذٰلِكَ، أَوْ مُخَالَفَةِ مَنْ يَدْعُو لِذٰلِكَ مِنَ الرُّفْقَةِ.
٤. تَدْوِينُ الرِّحْلَةِ بِتَفَاصِيلِهَا لِتَبْقَى جُزْءاً مِنَ الذِّكْرَيَاتِ وَحِفْظاً لِلْمَعْلُومَاتِ.
٥. الحِرْصُ عَلَى زِيَارَةِ العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الجِهَةِ الَّتِي يَذْهَبُ إِلَيْهَا وَنَيْلِ دُعَائِهِمْ وَإِجَازَاتِهِمْ.
٦. التَّرَدُّدُ عَلَى مَوَاقِعِ الخَيْرِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَوَاقِعِ اجْتِمَاعِ المُسْلِمِينَ وَمَجَالِسِ العِلْمِ وَأَذْكَارِهِمْ.
٧. تَجَنُّبُ الغَفْلَةِ فِي اللَّهْوِ مَعَ الزُّمَلَاءِ إِلَّا فِيمَا يَلِيقُ وَيَجُوزُ وَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَعْصِيَةٌ وَلَا إِفْسَادُ قِيَمٍ.
٨. يَلْزَمُ المَرْأَةَ أَلَّا تُسَافِرَ إِلَّا مَعَ ذِي رَحِمٍ مَحْرَمٍ أو زوج وَلَوْ كَانَتْ إِلَى الحَجِّ أَوَالعُمْرَةِ، وَعِنْدَ الضَّرُورَةِ مَعَ رُفْقَةٍ مَأْمُونَةٍ.
٩. تَعْجِيلُ العَوْدَةِ عِنْدَ نِهَايَةِ الرِّحْلَةِ إِلَى أَهْلِهِ وَبَلَدِهِ شَاكِراً حَامِداً.
١٠. تَجَنُّبُ المَظَاهِرِ المُثِيرَةِ لِلشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ فِي حَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، فَيَتَثَبَّتُ فِي أُمُورِهِ وَعَلَاقَاتِهِ، وَمَا يَحْمِلُهُ أَوْ يُكَلَّفُ بِحَمْلِهِ إِلَى الآخَرِينَ، فَهُنَاكَ مَنْ يُخْدَعُ فِي حَمْلِ بَعْضِ المَمْنُوعَاتِ مِمَّا يُوقِعُهُ فِي الحَرَجِ وَسُوءِ العَاقِبَةِ.
١١. عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَ مِنَ البَلَدِ الَّتِي ذَهَبَ إِلَيْهَا أَوِ الجِهَةِ أَوِ المَكَانِ بَعْضَ الصُّوَرِ

التَّذْكَارِيَّةِ ذَاتِ العَلَاقَةِ بِمُهِمَّتِهِ.

١٢. أَلَّا يُكْثِرَ الحَدِيثَ عَنْ خَبَرِ الرِّحْلَةِ مَعَ كُلِّ زَائِرٍ وَصَاحِبٍ ؛ لِمَا في ذٰلِكَ مِنْ إِثَارَةِ المَلَلِ ؛ إِلَّا جَوَاباً عَلَى مَنْ سَأَلَ.

١٣. أَنْ يُقَيِّمَ رِحْلَتَهُ وَمَا اسْتَفَادَهُ مِنْهَا بَعْدَ عَوْدَتِهِ.

١٤. أَنْ يَشْكُرَ اللّٰهَ عَلَى السَّلَامَةِ.

ثَبَتَتْ رُبَاعِيَّةُ أَرْكَانِ الدِّينِ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَحْدَةِ الحَدِيثِ المَوْضُوعِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَصَارَتْ دِرَاسَةُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَالعِلْمِ الوَضْعِيِّ مُنْدَرِجَةً تَحْتَ أَقْسَامِ الحَدِيثِ الأَرْبَعَةِ: (الإِسْلَامُ ـ وَالإِيمَانُ ـ وَالإِحْسَانُ ـ وَالعِلْمُ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ).

وَقَدْ يُوَاجِهُ الطَّالِبُ وَالطَّالِبَةُ عِنْدَ الحَدِيثِ عَنْ رُبَاعِيَّةِ الأَرْكَانِ اعْتِرَاضَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ أَوْ غَيْرِهِمْ عَلَى تَقْرِيرِ الرُّبَاعِيَّةِ لِلْأَرْكَانِ ؛ لِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِمَا سَارَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ إِثْبَاتِ أَرْكَانِ الدِّينِ وحصر ذلك بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ.

وَلِأَجْلِ ذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ وَطَالِبَتِهِ تَفَهُّمُ الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ المُسْلِمِينَ جَمِيعاً عِنْدَ تَقْرِيرِ هٰذِهِ المَسْأَلَةِ بِمَا يَلِي:

١. عَدَمُ الإِصْرَارِ عَلَى رُبَاعِيَّةِ الأَرْكَانِ إِلَّا بِحُضُورِ عَالِمٍ مُدْرِكٍ لِمَفْهُومِ حَدِيثِ (أُمِّ السُّنَّةِ) فِي وَحْدَتِهِ المَوْضُوعِيَّةِ وَوَحْدَتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ كَيْ تَتِمَّ المُنَاقَشَةُ الإِيجَابِيَّةُ عَلَى هٰذِهِ القَاعِدَةِ.

٢. عَدَمُ إِشَاعَةِ الكَلَامِ عَنْ رُبَاعِيَّةِ الأَرْكَانِ فِي الخُطَبِ وَالمُحَاضَرَاتِ إِلَّا لِمُتَمَكِّنٍ فِي دِرَاسَةِ القَوَاعِدِ وَالتَّطْبِيقَاتِ.

٣. احْتِرَامُ رَأْيِ العُلَمَاءِ وَالمُحَدِّثِينَ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى تَدْرِيسِ الثَّوَابِتِ لِمَا لَهَا مِنْ أَهَمِّيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَعَدَمُ النَّقْدِ أَوِ التَّجْرِيحِ فِي شَأْنِ ذٰلِكَ.

٤. تَرْكِيزُ الإِفَادَةِ فِي بَثِّ عِلْمِ رُبَاعِيَّةِ الأَرْكَانِ عَلَى النَّاشِئَةِ وَطُلَّابِ المَدَارِسِ الأَسَاسِيَّةِ وَالثَّانَوِيَّةِ وَالجَامِعِيَّةِ ، مَعَ حُسْنِ التَّقْدِيمِ لِقَوَاعِدِهِ أَوَّلاً ثُمَّ تَطْبِيقَاتِهِ.

٥. الاهْتِمَامُ بِالثَّوَابِتِ قَبْلَ الاهْتِمَامِ بِالمُتَغَيِّرَاتِ ، وَإِبْدَاءُ أَهَمِّيَّةِ الثَّوَابِتِ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ، وَإِشْهَارُ فَائِدَةِ عِلْمِ المُتَغَيِّرَاتِ كَصِيَانَةٍ لِلثَّوَابِتِ وَتَجْدِيدٍ لِلُغَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ وَالخِطَابِ الإِسْلَامِيِّ.

٦. تَطْبِيقُ كَافَّةِ الأَدَوَاتِ المَرْعِيَّةِ عِنْدَ طَلَبِ عُلُومِ المُتَغَيِّرَاتِ، وَاعْتِبَارُ الأَدَبِ الشَّرْعِيِّ قَاسِماً مُشْتَرَكاً لِكِلَا العِلْمَيْنِ.
٧. تَـرْكُ الجَـدَلِ وَاللَّجَـاجِ فـي تَعْلِيـلِ المُصْطَلَحَـاتِ وَالتَّعْرِيفَـاتِ حَتَّى لا تَنْصَرِفَ فَائِدَةُ العِلْمِ عَنْ مَسَارِهَا المَطْلُوبِ، إِلَى الاِخْتِلَافِ حَوْلَ الظَّوَاهِرِ وَالقُشُـورِ، كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ المُتَرَسِّـمِينَ بِالعِلْمِ إِمَّا رَغْبَةً في الجَدَلِ، وَإِمَّا رَغْبَةً في إِبْطَالِ أَثَرِ العِلْمِ ذَاتِهِ.
٨. عِلْـمُ فِقْـهِ التَّحَـوُّلَاتِ عِلْـمٌ لَا زَالَ فـي أَوَّلِيَّـاتِ ظُهُـورِهِ وَدِرَاسَـتِهِ، فَـلا يَصِـحُّ القَطْـعُ فِيهِ بِتَعْرِيفٍ أَوْ تَعْلِيـلٍ أَوْ إِصْدَارِ أَحْكَامٍ حَتَّى تَكْتَمِلَ أُسُـسُ وَمُنْطَلَقَاتُ قَوَاعِدِهِ وَتَطْبِيقَاتِهِ.

وَاللّٰهُ المُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ..

الفهرس

هذا الكتاب

- مَدخلٌ تعليميٌّ تربويٌّ لربطِ المريدِ والسّالكِ بطريقِ السّلامةِ، المفضي إلى دارِ الكرامةِ.
- تشويقُ السّالكِ والسّالكةِ لمراتبِ التّرقّي، مراتبِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ، باعتمادِ الذِّكرِ والفِكرِ والشُّكرِ.
- مُعالجةُ اعوجاجِ الجيلِ الغافلِ المشتغلِ بمظاهرِ الحياةِ وزخارفِها، استتباعاً لنواعيقِ العواطفِ والتُّرّهاتِ.
- إثارةُ العاطفةِ الرّوحيّةِ الشّرعيّةِ ذاتِ العلاقةِ المباشرةِ بسلامةِ العبدِ في الدّنيا والآخرةِ.
- تحصينُ الجيلِ مِنْ مُضلّاتِ الفتنِ وعوادي الأزمانِ وفتنةِ النّفسِ والهوى والدّنيا والشّيطانِ.
- حُسنُ الاتّباعِ لما دعانا إليهِ نبيُّنا صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ مِنَ العملِ الصّالحِ والأدبِ المشروعِ، المساعدِ على بناءِ جيلِ الاستقامةِ ومجتمعِ الرّعايةِ «كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيّتِه».